حمله إليهم الرواه . ومعنى هذا أن القدماء لم يكونوا فى غفلة من الأمر ، ولم يتقبلوا تقبلا أعمى كل ماحمله الرواة لهم ، وإنما وقفوا لهم بالمرصاد يتتبعون رواياتهم ، ويفحصونها ويتشكون فيما يتهمونه منها ، ويتقبلون ما يطمئنون إليه ، ومن أجل ذلك عدلوا رواة وجرحوا رواة آخرين ، وهذا أمر طبيعى لأنه من غير المعقول أن يكون كل الرواة الذين حملوا التراث العربى وضاعين منتحلين كذابين ، أو أن يكون كل الرواة حميعاً عصبة من المزيفين لاهم لهم إلا تزييف النصوص واختراع الأخبار وافتعال الروايات ـ ولكننا ـ مع ذلك ـ لا نستطيع أن ندعى أن الشعر الجاهلى وصل إلينا كما نطق به أصحابه ، وإنما لابد من أن يكون قد أصابه شئ من التغيير والتحريف فى ألفاظه وعباراته ، أو فى ترتيب أبياته وعددها ، وأيضا لابد من أن يكون قد أصابه شئ من عبث الرواة وتزيدهم ، فهذه كلها ظواهر طبيعية مع كل رواية شفوية .

وبهذا نستطيع أن نضع قضية الانتحال فى وضعها الدقيق فى غير مبالغة أو مغالاة أو تجسيم للظواهر الطبيعية ، فالشعر الجاهلى حملته إلى عصر التدوين قوافل الرواة فى رحلتها الشفوية، وفى أثناء هذه الرحلة ضاع أكثره ولم يصل إلينا إلا أقله ، وهذا القليل الذى وصل إلينا أصابه كثير أو قليل من التحريف والتغيير ، ولحقه شئ من عبث الرواة وتزيدهم وانتحالهم ، ولكن هذا لايعنى أن الشعر الجاهلى كله منتحل وموضوع ، ففيه ـ بدون شك ـ منتحل وموضوع ، ولكن فيه أيضا ما هو صحيح النسبة إلى أصحابه ، أما تلك الاتهامات التى تكال جزافاً له ،والتى تنتهى إلى الحكم عليه بأنه كله موضوع ومنتحل ولا صلة له بالعصر الجاهلى لأنه من وضع رواة العصر الإسلامى وانتحالهم ، ففيها كثير من الظلم والتجنى والمغالطة . فليس صحيحاً أن الشعر الجاهلى لا يصور جوانب الحياة الجاهلية ، ففيه تصوير دقيق لكثير من جوانب هذه الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية ، لأن هذا الشعر ـ ببساطة ـ كان مرتبطاً بحياة القبائل ارتباطا وثيقاً ، ومن هنا قالوا